

وصايا ومنن تبعد عنك الهم والحزن

عبد الله لعريط الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالى، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها". رواه البخاري ومسلم.
قوله (من نصب) أي من تعب.
قوله (ولا وصب) وهو المرض.

قوله (ولا هم) وهو المكروه الذي يلحق بالعبد وقد يكون على شيء لم يحصل بعد، والحزن ما يلحقه بسبب حصول مكروه في الماضي، وهما من أمراض الباطن، والأذى ما يلحقه من تعدي الغير عليه، والغم ما يضيق على القلب.
فالحديث جمع كل ما يصيب العبد في نفسه وقلبه وبدنه لما قد يؤثر عليه وعلى حياة أهله وأسرته وقد يفسد صفو إيمانه وتقواه.

فالمخرج بحول الله موجودا وسهلا لمن يسره الله عليه، وسوف أستوق بعض الأسباب والتدابير التي يجب اتخاذها والعمل بها حين تنزل على قلب العبد نازلة من هم وغم وحزن لا قدر الله، حتى يسهل الأمر ويتيسر بمشيئة الله.

(١) يجب أولا اليقين بأن كل بلاء من هم وحزن وضيق وشدة له مخرجا وحلا وسوف ينجلي مهما كبر البلاء وعم الضيق الأرجاء، فالله أكبر من كل شيء، وهو قادر على صرف كل مكروه وأنين بين الآونة والحين، قال الله تعالى:

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۗ) (الإسراء ٨٢) ففي القرآن شفاء وسكينة وطمأنينة وراحة بشرط الإيمان واليقين بذلك.

(٢) يجب أن يكون العبد على علم بأن البشر لا يمكن لهم أن يبقوا على حال واحدة، ويستمروا على منوال واحد فدوام الحال من المحال، فتارة فرح وتارة ترح، وتارة سعة وتارة ضيق، وتارة عزة وتارة ذلة، وتارة قوة وتارة ضعف. والموت يفصل بين ذلك كله.

عن الأغر المزني (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة.) رواه مسلم

الغين: قال القاضي عياض رحمه الله: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه. وقيل: هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس، فإذا كان هذا حال المقربين فكيف بمن دونهم، وهذا العلم يخفف من حدة المعاناة على كل مصاب بحول الله تعالى.

(٣) التغيرات والحالات التي تمر على العبد هي من الله وبإذن منه سبحانه قال الله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) (يونس ١٠٧) فإذا كانت الذرة تتحرك بإذن الله فكيف بالعبد طولا وعرضا، وهذه المتغيرات تحدث لحكمة أرادها الله تعالى، وفي الحقيقة هي من عوامل استمرار الحياة وبعث القوة من جديد.

(٤) يجب على العبد حين يلم به شيء مما تكرهه النفس أن يتوقف عن ممارسة عمل أو شيء ما ربما لا تشتت فيه نفسه، أو عليه أن يغير هيئته أو مكانه أو حتى يسافر، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) (يونس ١٠٠)

المراغم: المتحول أي يتحول من حال إلى حال كما يتحول المسافر من مكان إلى آخر، والسعة: سعة في العيش وفي الرزق وفي الصدر بعد الضيق، وقد تكون الذنوب هي من أسباب الضيق والحرج فيجب الإقلاع عنها والعودة والإنابة، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. "قال الشيخ الألباني رحمه الله حديث حسن.

(٥) لا ينفعل العبد ولا يضطرب، فهذا لا يجدي نفعاً، بل عليه بالصبر والتريث والبحث عن الحل فالغضب والإضراب من عوامل تعطيل وتأخير الحلول، أخرج البخاري رحمه الله " أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ. قال الرجل ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله".

(٦) للعلم قد يتغير مزاج العبد من أكلة أكلها أو حتى رائحة شمها أو نظرة أثرت فيه، فيحاول صرف تفكيره عنها، ولا صارف لها إلا الله فبالدعاء بحول الله تنصرف.

(٧) الذي يجب تعظيمه هو الله فلا شيء أعظم ولا أكبر منه سبحانه وتعالى فكل شيء بذكره يهون وهو رب الكون قال الله تعالى **(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نوح ١٣)** ما لكم لا ترون لله عظمة.

(٨) حتمية الالتجاء إلى الله والاستعانة به فقد يكون هو الذي طلبك وأراد أن يبتليك ليمنحك، أو يمكنك ويرفعك. قال النبي صلى الله عليه وسلم: **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمِنْزَلَةُ فَمَا يَلْعُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ إِيَّاهَا.** صحيح الترغيب.

(٩) لا يرد الله طارقاً على بابه، قال الله تعالى: **(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهُ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل ٦٢)**

المضطر: الذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه وطلب يد العون والغوث فلم يجدها من أحد، وتقطعت به الحبال وانقطعت عنه السبل فلم يجد سوى الله، إذا دعاه: ترغيب في الدعاء، فارج الهموم وكاشف الغموم، مزيل الأحزان ومرضي المنان الخنان، فعلى العبد ألا يظن بربه سوءاً ولا يشك في قبول الله له، أو يخاف أن الله سوف يطرده من على بابه، فهذا محال، بل إن الله تعالى يجيبه ومن واسع رحمته يمدده ومن عظيم كرمه يزيده. يكشف عنه اللأواء والسوء والأسواء والداء والأدواء - اللأواء: ضيق المعيشة وشدة المرض. - وربما ساد وزاد ورفع شأنه بين العباد ويجعله خليفة وقائداً قواد. - قائداً قواد: قَوِيُّ الْقِيَادَةِ.

(١٠) اللجوء لدعوة الوالدين والتحنن لهما والبر بهما، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ثَلَاثٌ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ هُنَّ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)** رواه ابن ماجه (٣٨٦٢) وحسنه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" -

-٥٩٦

(١١) وهو الأمر الخطير والحمل الكبير، حين يمن الله على العبد بالعافية والعيشة الراضية، فحينها يجب على العبد أن يلتجأ إلى الله بكليته ويشكر ربه بلسانه ويحمد الله بجنانه ويسخر نعماءه في بره وإحسانه ولا يقول بفضل فلان ولا إعلان ولا أي إنسان، قال الله تعالى: **(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۗ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (يونس ١٢)** وإنك لتسمع من كثير ممزن زين لهم الشيطان أعمالهم يقول بعد عافيته: قد نفعني دواء الطبيب أو رقية الراقي

أو توجيهه ونصيحة ذلك الإنسان أو لولا فلان وعلان، وينسى الكريم المنان. والمنعم الحنان والرحيم الرحمان فيا لجاهلة وحمق هذا الإنسان.

للعلم: قد يرد الله كل من جحد النعمة وكفر بالمنعم، إلى ما كان عليه من الضيق والشدة كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم رحمه الله، الذي قص علينا فيه النبي صلى الله عليه وسلم قصص النفر الذين ابتلاهم الله بالضيق فواحد بالعمى والآخر بالبرص والثالث بالقرع، فلما فرح عليهم وأنعم عليهم بالعافية جحدوا وكفروا بالنعمة وبالمنعم جل وعلا، فأعادهم الله لما كانوا عليه، إلا الأعمى الذي شكر نعمة الله فأتمها الله عليه. وهكذا ينبغي لكل من أنعم الله عليه بالعافية بعد البلاء أن ينشغل بشكر الله وحمده ويذكره ولا ينساه، وكلما حدثته نفسه بالمعصية تذكر فضل الله عليه.

وبالتالي فقد تكون هذه الشدة وهذا الضيق سببا في أعظم النعم وأجل المنن وهي الاستقامة، وربما مات عليها العبد فدخل الجنة دار النعيم المقيم، فلا يسيء العبد الظن بربه فيصبر ويحتسب والعاقبة للمتقين، اللهم عافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، اللهم أصلح لنا شؤوننا كلها ولا تكلنا لأنفسنا طرفة عين، اللهم نثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

